**بيان الإثبات عند أهل السنة والجماعة**

***بحث فى : توحيد الصفات***

*إعداد / شيماء عبد المجيد زهران*

*قسم الدعوة وأصول الدين*

*كلية العلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية*

*شاه علم - ماليزيا*

*shaimaa.abdelmajeed@mediu.ws*

**خلاصة هذا البحث فى : بيان الإثبات عند أهل السنة والجماعة، وذكر الأدلة المفصلة على ذلك**

**الكلمات الافتتاحيه : بتفصيل، الاثبات، الجماعه**

* **.*المقدمة***

**الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين ، سوف نقوم في هذا البحث بمعرفة بيان الإثبات عند أهل السنة والجماعة، وذكر الأدلة المفصلة على ذلك**

* ***. موضوع المقالة***

قد تكلمنا بتفصيل على أسماء الله الحسنى، وسنبدأ في الكلام عن صفات الله تعالى، وليكن أول ما نبدأ به بيان الإثبات عند أهل السنة والجماعة، وذكر الأدلة المفصلة على ذلك.

واعلم بأن معتقد أهل السُنَّة والجماعة في إثبات الصِّفات قائم على أن الله  يُوصف بما وَصَفَ به نفسه في كتابه أو على لسان رسوله  نفيًا وإثباتًا، من غير تحريف، ولا تعطِّيل، ومن غير تكييف، ولا تمثيل.

فقول أهل السُنَّة والجماعة: من غير تحريف ولا تعطِّيل. يريدون به تمييز معتقدهم عن معتقد أهل التعطِّيل.

فالتحريف في اللغة: التغيير والتبديل والإمالة والعدول، مأخوذ من الفعل حَرَّفَ، إذا عدل بالشيء عن وجهه.

وشرعًا: هو العدول بالكلام عن وجهه وصوابه إلى غيره.

والتحريف في باب الأسماء والصِّفات: هو تغيير ألفاظ نصوص الأسماء والصِّفات أو معانيها عن مراد الله بها.

قول أهل السُنَّة والجماعة: من غير تكييف ولا تمثيل، فيه تمييز لمعتقدهم عن معتقد المشبهة.

فالتكييف في اللغة: كيَّف الشيء جعل له كيفية، والكيفية مصدر صناعي، يقال في جواب سؤال "كَيْفَ"، وهي حالة الشيء وصفته.

والتمثيل في اللغة: التشبيه، مأخوذ من مَثَّل الشيء بالشيء تمثيلًا: شَبَّهَهُ به.

وأما في الاصطلاح: فهو جعل الشيء على كيفية معينة مع تقيدها بمماثل، وهو مرادف للتشبيه وإن كان بينهما فرق في أصل اللغة.

ولقد حفلت الكتب المعتنية ببيان معتقد أهل السُنَّة والجماعة بذكر الآثار عن السَّلف الصالح في تقرير هذه العقيدة وما تضمنته من أصول وأسس لأهل السنة والجماعة في باب الصِّفات.

فمن ذلك:

الإجماع الذي نقله الإمام ابن عبد البر -رحمه الله- بقوله: "أهل السُنَّة مجمعون على الإقرار بالصِّفات الواردة في القرآن والسُنَّة، والإيمان بها، وحملها على الحقيقة لا على المجاز، إلا أنهم لا يكيّفون شيئًا من ذلك، ولا يحدّون فيه صفة محصورة".

وفي تقرير هذا الإجماع يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في عقيدته الواسطية التي تحدى بها جميع المخالفين لأهل السُنَّة والجماعة من جميع الطوائف في زمانه أن يأتوا بحرف واحد عن أحد من الصحابة ومن بعدهم من أهل القرون الثلاثة الأولى المشهود لهم بالخيرية- يخالف ما ورد فيها، قال -رحمه الله-: "أما بعد: فهذا اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السُنَّة والجماعة... إلى أن قال: ومن الإيمان بالله، الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه، وبما وصفه به رسوله محمد ، من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكيّيف ولا تمثيل، بل يؤمنون بأن الله سبحانه { ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ} [الشورى: 11]".

ومن أقوال أعلام السَّلف الصالح التي تبيِّن هذا المنهج في هذا الباب:

قول الإمام أبي حنيفة -رحمه الله-: "وله يدٌ ووجهٌ ونفسٌ كما ذكره الله تعالى في القرآن، فما ذكره الله تعالى في القرآن، من ذكر الوجه واليد والنفس فهو له صفات بلا كيف، ولا يقال: إن يده قدرته أو نعمته؛ لأن فيه إبطال الصِّفة، وهو قول أهل القدر والاعتزال …".

ومنها قول الإمام مالك -رحمه الله- لما سُئل عن قوله تعالى: {ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ} [طه: 5] كيف استوى؟ فأطرق مالك، حتى علته الرَّحْضَاء، ثم رفع رأسه وقال: "الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة".

فأصبح كلام الإمام مالك -رحمه الله- قاعدة من قواعد هذا الباب عند أهل السُنَّة والجماعة، يستخدمونها في سائر الصِّفات للرد على كل من خالفهم.

وقال الإمام الشافعي -رحمه الله- وقد سُئل عن صفات الله تعالى وما يُؤْمَن به: "لله تعالى أسماءٌ وصفاتٌ جاء بها كتابه وأخبر بها نبيه  لا يسع أحد من خلق الله تعالى قامت عليه الحجة رَدّهَا؛ لأن القرآن نزل بها وصحّ عن رسول الله  القولُ بها، فإن خالف ذلك بعد ثبوت الحجة عليه فهو كافر بالله تعالى، فأما قبل ثبوت الحجة عليه من جهة الخبر فمعذور بالجهل؛ لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل ولا بالرؤية ولا بالفِكر".

وقال الإمام أحمد -رحمه الله- في أحاديث الصِّفات: "نؤمن بها ونصدق بها، ولا كيف ولا معنى ولا نرد منها شيئًا، ونعلمُ أن ما جاء به الرسول حق إذا كانت بأسانيد صحاح، ولا نردُّ على رسول الله  قوله، ولا يُوصَف الله تعالى بأكثر مما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله، بلا حد ولا غاية { ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ} [الشورى: 11]، ولا يبلغ الواصفون صفته، وصفاته منه، ولا نتعدى القرآن والحديث، فنقول كما قال، ونصفه كما وصف نفسه ولا نتعدى ذلك، نؤمن بالقرآن كله محكمه ومتشابهه، ولا نزيل عنه صفة من صفاته لشناعة شنعت".

فهذه بعض أقوال أئمة السَّلف المتبوعة، كلها متفقة على هذا الاعتقاد، وهذا المنهج، قال الإمام ابن تيمية -رحمه الله- لما سُئل عن اعتقاد الشافعي: "اعتقاد الشافعي واعتقاد سلف الإسلام كمالك والثوري والأوزاعي وابن المبارك وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه؛ وهو اعتقاد المشايخ المقتدى بهم كالفضيل بن عياض، وأبي سليمان الداراني، وسهل بن عبد الله التُّسْتري، وغيرهم. فإنه ليس بين هؤلاء الأئمة وأمثالهم نزاع في أصول الدين.

وكذلك أبو حنيفة -رحمة الله عليه-.. واعتقاد هؤلاء هو ما كان عليه الصحابة والتابعون لهم بإحسان، وهو ما نطق به الكتاب والسُنَّة". ولا يتسع المقام لذكر وسرد أقوال أئمة السَّلف الصالح الآخرين المتفقة مع ما سبق، وهي مبثوثة في كتب أهل السُنَّة والجماعة التي تعنى بجمع وبيان معتقدهم بالأسانيد.

ومن خلال النصوص الشرعية الواردة في هذا الباب من الكتاب والسُنَّة، وأقوال السَّلف الصالح وآثارهم، استنبط أهل السُنَّة والجماعة أسسًا ثلاثةً يرتكز عليها معتقدهم في هذا الباب عمومًا، ومنها تستنبط وتتفرع عنها بقية القواعد والأصول الأخرى.

وهذه الأسس هي:

1. الإيمان بما وردت به نصوص القرآن والسُنَّة من أسماء الله  وصفاته، إثباتًا ونفيًا.
2. تنـزيه الله -جل وعلا- عن أن يشبه شيء من صفاته شيئًا من صفات المخلوقين.
3. قطع الطمع عن إدراك كيفية اتِّصاف الله بتلك الصِّفات.

وهذه الأسس الثلاثة هي التي تَفْصِل وتميِّز عقيدة أهل السُنَّة والجماعة في هذا الباب عن عقيدة أهل التعطيل من جهة، وعن عقيدة أهل التمثيل من جهة أخرى، وقد سبق الكلام على بعض متعلقاتها في موضعها من أسماء الله الحسنى.

هذا عرض موجز لمنهج أهل السُنَّة والجماعة في باب الأسماء والصِّفات، والأسس التي يقوم عليها معتقدهم في هذا الباب، وهو كافٍ لمن استرشد.

ومدار إثبات الصفات على الإيمان بما وصف الله به نفسه، لأنه لا يصف الله أعلم بالله من الله: {ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ} [البقرة: 140]. والإيمان بما وصفه به رسوله  لأنه لا يصف الله بعد الله أعلم بالله من رسول الله ، الذي قال في حقه: {ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ} [النجم: 4]، فيلزم كل مكلف أن يؤمن بما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله  وينزه الله -جل وعلا- عن أن تشبه صفته صفة الخلق. وحيث أخل بأحد هذين الأصلين وقع في هوة ضلال، لأن من تنطع بين يدي رب السموات والأرض وتجرأ على الله بهذه الجرأة العظيمة ونفي عن ربه وصفا أثبته لنفسه فهذا مجنون فالله -جل وعلا- يثبت لنفسه صفات كمال وجلال فكيف يليق لمسكين جاهل أن يتقدم بين يدي رب السموات والأرض ويقول: هذا الذي وصفت به نفسك لا يليق بك ويلزمه من النقص كذا وكذا، فأنا أؤوله وألغيه وآتى ببدله من تلقاء نفسي من غير استناد إلى كتاب أو سنة. سبحانك هذا بهتان عظيم! ومن ظن أن صفة خالق السموات والأرض تشبه شيئا من صفات الخلق فهذا مجنون جاهل، ملحد ضال، ومن آمن بصفات ربه -جل وعلا- منزها ربه عن تشبيه صفاته بصفات الخلق فهو مؤمن منزه سالم من ورطة التشبيه والتعطيل. وهذا التحقيق هو مضمون: { ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ} [الشورى: 11] فهده الآية فيها تعليم عظيم يحل جميع الإشكالات ويجيب عن جميع الأسئلة حول الموضوع. ذلك لأن الله قال: {ﭥ ﭦ ﭧ} بعد قوله: {ﭡ ﭢ ﭣ}. ومعلوم أن السمع والبصر من حيث هما سمع وبصر يتصف بهما جميع الحيوانات، فكأن الله يشير للخلق ألا ينفوا عنه صفة سمعه وبصره بادعاء أن الحوادث تسمع وتبصر وأن ذلك تشبيه، بل عليهم أن يثبتوا له صفة سمعه وبصره على أساس {ﭡ ﭢ ﭣ}. فالله -جل وعلا- له صفات لائقة بكماله وجلاله والمخلوقات لهم صفات مناسبة لحالهم وكل هذا حق ثابت لا شك فيه.

إلا أن صفة رب السموات والأرض أعلى وأكمل من أن تشبه صفات المخلوقين، فمن نفى عن الله وصفًا أثبته لنفسه فقد جعل نفسه أعلم؟ سبحانك هذا بهتان عظيم، من ظن أن صفة ربه تشبه شيئًا من صفة الخلق فهذا مجنون ضال ملحد لا عقل له يدخل في قوله: {ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣﮤ ﮥ ﮦ ﮧ} [الشعراء: 98]. ومن يسوي رب العالمين بغيره فهو مجنون.

ثم اعلموا أنه لا مقارنة بين صفات الخالق وبين صفات المخلوق، فما جاء في القران العظيم من وصف الخالق -جل وعلا- بتلك الصفات ووصف المخلوقين بتلك الصفات كله حق، فصفة خالق السموات والأرض حق وصفة المخلوقين حق، ولكن لا مناسبة بين صفة الخالق وبين صفة المخلوق فصفة الخالق لائقة بذاته وصفة المخلوق مناسبة لعجزه وافتقاره وبين الصفة والصفة من المخالفة كمثل ما بين الذات والذات.

وجماهير المتكلمين من الأشاعرة يثبتون لله سبع صفات يسمونها صفات المعاني، وينكرون سواها من المعاني ويؤولونها، وصفة المعنى عندهم في الاصطلاح ضابطها أنها ما دل على معنى وجودي قائم بالذات، والذي اعترفوا به منها سبع صفات، هي: القدرة والإرادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام.

ونفوا غير هذه الصفات من صفات المعاني التي سنبينها ونبين أدلتها من كتاب الله. وأنكر هذه المعاني السبعة المعتزلة وأثبتوا أحكامها فقالوا: هو قادر بذاته سميع بذاته عليم بذاته حي بذاته، ولم يثبتوا قدرة ولا علمًا ولا حياة ولا سمعًا ولا بصرًا، فرارًا منهم من تعدد القديم وهو مذهبٌ كلُ العقلاء يعرفون ضلاله وتناقضه، وأنه إذا لم يقم بالذات علم استحال أن تقول: هي عالمة بلا علم وهو تناقض واضح بأوائل العقول.

**المراجع والمصادر:**

1. **تقي الدين أحمد عبد الحليم بن تيمية ، مجموع الفتاوى، جمع وترتيب/ عبد الرحمن بن قاسم، المدينة المنورة، طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف, عام 1416هـ.**
2. **علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي ، شرح العقيدة الطحاوية، تحقيق د/ عبد الله التركي وشعيب الأرنؤوط، بيروت، الطبعة العاشرة مؤسسة الرسالة، 1417هـ.**
3. **محمد بن خليفة التميمي ، معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى ، الرياض، مكتبة أضواء السلف الطبعة الأولى، 1419هـ.**
4. **محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ،الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله، الرياض، دار العاصمة، 1998م.**
5. **محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، دار الكتب العلمية, 2003م.**
6. **هبة الله بن الحسن اللالكائي ، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، تحقيق ، أحمد سعد حمدان، الرياض، دار طيبة، 1982م.**
7. **محمد بن إسحاق بن خزيمة ، كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل ، تحقيق: عبد العزيز الشهوان، الرياض، دار الرشد للنشر والتوزيع،1987م.**
8. **محمد ناصر الدين الألباني ، مختصر العلو للعلي الغفار ، المكتب الإسلامي، 1980م.**
9. **محمد بن صالح بن عثيمين ، القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، تحقيق: أشرف عبد المقصود، القاهرة، مكتبة السنة، 1993م.**
10. **إبراهيم البريكان ، القواعد الكلية للأسماء والصفات عند السلف ، الدمام، دار ابن القيم، 2004م**
11. **عمر سليمان الأشقر ، الأسماء والصفات في معتقد أهل السنة والجماعة، الأردن، دار النفائس للنشر والتوزيع، 1992م.**
12. **أحمد عبد الرحمن القاضي ، مذهب أهل التفويض في نصوص الصفات "عرض ونقد"، الرياض، دار العاصمة، 1995م.**
13. **عبد الرحيم السلمي ، حقيقة التوحيد بين أهل السنة والمتكلمين، الرياض، دار المعلمة للنشر والتوزيع، 2000م.**